العُروب في العـــراق

للأســـتاذ ميخائيل عواد

في المؤلفات التاريخية والبلدانية نواح متعددة ما زال يستورها شيء كثير من الغموض ، يعود بعض أسبابه إلى تساهل أصحاب تلك المؤلفات في تدوين الأخبار تدويناً بني بالمرام ويدفع الشك ، كأن يورد المؤلف أخباراً أو أوصافاً دون أن يتقصاها ، لاعتقاده أنها من الأمور المعروفة التي لا تحتاج إلى الشرح والتدليل

من ذلك ماصادفناه لدى بحثنا في نوع من الطواحين القديمة ، التي كانت تسمى « العُرُوب » وقد شاعت كثيراً في العراق والجزيرة وبعض ما يجاورهما من البلدان . وكان البدء في استعمالها يرجع إلى ما قبل العصور الإسلامية ، ثم رافقت هـذه العصور عدة مراحل حتى أدركت القرن السادس للهجرة ، فقلّ عددها لتواتر النكبات عليها وخف استعمالها فلم يبق منها إلا آحادٌ مبعثرة في الفراتين وبعض ما ينشعب منهما[1] .

وقد أمكننا حين تتبعنا المراجع العربية القديمة الوقوف على بعض ما يوضح شيئاً من أمرها .

العروب في معاجم اللغة

لم يدر بخلد أحد من أصحاب المعاجم القديمة خاصة تحقيق منشأ كلمة عروب ، إنما كان اتفاقهم على تعريفها فقط

فقد جاء في « تاج العروس » أن « العربات : سفن كانت بدجلة ، النهر المعروف ، واحدتها عربة[2] »

وماورد في «لسان العرب لابن منظور» لايتعدى ما ذكره التاج

وزاد صاحب القاموس عليهما في تعريفها بأنها : سفن « رواكد » كانت في دجلة[3]

(١) يروى بعض شيوخ الموصل أنهم أدركوا حوالى سنة ١٨٨٠ طاحونة منصوبة في سفينة راسية على شاطئ دجلة ؛ موثقة بالحبال ، ولا شك عندنا في أنها نوع من العروب التي عليها مدار بحثنا . وعلى ما يروون أيضاً أن استعمال هذه الطاحونة لم يدم أكثر من سنتين ثم تركت ولم يشاهدوا بعد ذلك غيرها

(٢) تاج العروس للزبيدي (١ : ٣٧٦)

(٣) القاموس المحيط للفيروزابادي (الطبعة الثالثة ١ : ١٠٣)

وقال في مادة عربة إنها : « النهر الشديد الجرى »[1] وقوله هذا يتفق وما ذكره من كان قبله أي صاحب الصحاح[2]

هذا جل ما ورد في المعاجم القديمة بشأنها ، وأما المعاجم الجديدة منها ، فقد رأينا أن ما ذكره « محيط المحيط » و« البستان » و « أقرب الموارد » ، لا يتعدى التعريف المذكور في المعاجم القديمة[3]

وأحسن المعاجم الجديدة التي أعطت للكلمة ما تستحقه من العناية والدقة هو « المعجم المساعد »[4] ؛ فقد جاء بأنباء جلية عن منشأ كلمة العروب ؛ فهو يقول : « العربة : بمعنى الرحى ، إرَمية وتسمى (أسونا) ؛ ومنها أخذها عوام الموصل فقالوا أستاية[5] »

وقال في مكان آخر : الأستاية : بفتح الهمزة ، وقد تكسر ؛ هي بالصابئية (أسنايا) ، وهي رحى الماء يحرك آلتها أجنحة[6] ، وكثيراً ما كانت تقام في جوار الفراتين أو ما ينشعب منهما ، وهذه الكلمة من أصل عربي ، من سنيَت الداية : استُقي عليها[7] »

ومما قاله أيضاً : ويحتمل أن تكون (عربة) معربة من اليونانية Atis و Harma وكذلك هي في الرومية[7]

وما يحسن ذكره في هـذا الموضوع ما قاله صاحب التاج : « الفيلخ كصيقل ، وهي الرحى أو إحدى رحيي الماء واليد السفلى منهما ، ومنه قوله : ودرنا كما دارت على القطب فيلخ[8] »

وقد جُمعت عربة على عَرَبات وعرب ، وجمعت الأخيرة على عُرُوب وزان قُلوب ، وهي جمع الجمع

العروب في كتب وصاف البلدان

قد يكون الرحّالة بن حوقل هو الوحيد بين قدماء الكتبة الذين تكلموا بتفصيل عن هذه الطواحين بقوله : « ... وكان بالموصل

(١) القاموس (١ : ١٠٢)

(٢) الصحاح للجوهري (١ : ٨٠)

(٣) محيط المحيط لبطرس البستاني (٣ : ١٣٦٢) ، البستان لعبد الله البستاني (٢ : ١٥٤٤) ، أقرب الموارد لسعيد الشرتوني (٢ : ٧٥٩)

(٤) المساعد : وهو معجم لعلامة الأب أنستاس مارى الكرملي ، لا يزال مخطوطا عنده (ص ١٣٦٢ ، ٣)

(٥) راجع أيضا دليل الراغبين في لغة الأراميين للقس يعقوب أوجين منا (ص ٣٣ : اسونا = عروب ...)

(٦) المساعد (ص ١٠١٤ ، ٣)

(٧) المساعد (ص ١٣٦٢ ، ٢)

(٨) تاج العروس ولسان العرب في مادة (ف ى خ)

فى وسط دجلة مطاحن تعرف بالمُروب ، يَقِلّ نظيرها فى كثير من الأرض ، لأنها قائمة فى وسط ماء شديد الجرية ، موثقة بالسلاسل الحديد ، فى كل عربة منها أربعة أحجار ، ويطحن كل حجرين فى اليوم والليلة خمسين وِقْراً[1] . وهذه المُروب من الخشب والحديد ، وربما دخل فيها شىء من الساج . وكانت بِسَلَدَ ، المدينة التى عن سبعة فراسخ منها مُروب كثيرة دارت أعمالاً وجهازاً إلى العراق فلم يُبْقِ منها شؤم ابن حمدان ولا من أهلها باقية[2] »

ثم تطرّق إلى الكلام على المروب فى غير مدينة الموصل ، قال : « وبمدينة الحديثة منها عدد تعمل فى وسط دجلة ، وقد ملك بنو حمدان متاعها حسب ما ذكرته من حال الموصل وسائر ديار ربيعة ، وارتفاعها نحو خمسين ألف دينار ، وكان بالفرات للرقة (وقلعة جعبر) مالا يدانى هذه المروب ولا ككثرتها ، وبمدينة تفليس[3] فى نفس الكُر منها شىء به تقوم أقوات أهل تفليس ، وهى دونها فى الفخم والعظم ، وبتكريت وعكبرا والبَرَدان منها شىء باق . ولم تبق بركة بنى حمدان بالموصل إلا ستة أو سبعة منها (كذا . والصواب ست أو سبع) ، وليس ببغداد شىء منها[4] »

ثم عاد إلى ذكر المُروب فى تفليس أثناء كلامه على هذه المدينة فقال : « تفليس ... وهى على نهر الكر ولها فيه عروب يطحن فيها الحنطة كما تطحن عروب الموصل والرقة وغيرها فى الدجلة والفرات[5] »

وأشار ياقوت إلى المروب قائلاً : « المَرَبات ومفردها عربة ، وهى بلغة أهل الجزيرة : السفينة تعمل فيها رحىً فى وسط الماء الجارى مثل دجلة والفرات والخابور ، يديرها شدة جريه ، وهى مولدة فيما أحسب[1] »

وتطرق القزوينى إلى ذكرها بقوله : « ... وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعاً كثيراً مثل شق القناة منها ونصب النواعير على الماء ، يديرها الماء بنفسه ، ونصب المَرَبات ؛ وهى الطواحين التى يديرها الماء فى وسط دجلة فى سفينة وتنقل من موضع إلى موضع[2] »

المروب فى كتب التاريخ والأدب

لعل أول نبأ بلغنا عن المروب فى المراجع التاريخية ، هو ما ذكره الشابشتى فى كتابه « الديارات[3] » لدى كلامه على دَيْر مارجرجس ، والدير الأعلى

قال فى الأول : « هذا الدير بالمزرفة (قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ ، وهى قريبة من قَطْرَبُّل) وهو أحد الديارات والمواضع المقصودة . والمتنزهون من أهل بغداد يخرجون إليه دائماً فى السُميريات لقربه وطيبه ، وهو على شاطئ دجلة . والمروب بين يديه ، والبساتين محدقة به ...[4] »

وفى الثانى : هذا الدير بالموصل ، يطل على دجلة والمروب ، وهو دير كبير عامر ...[5]

وفى حوادث سنة ٣٦٣ هـ حين استيلاء بختيار بن معز الدولة ابن بويه على الموصل ، يذكر ابن الأثير فى «الكامل» ما نصه : « ... فسار (بختيار) عن بغداد ، ووصل الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى ، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار ، وقصد سنجار وكسر المروب ، وأخلى الموصل من كل ميرة[6]

وهذه الرواية توافق ما نقله القلقشندى عن نسخة كتاب

---

(١) الوقر (بكسر الواو : الحمل الثقيل) وقيل هو الثقل ، يحمل على ظهر أو رأس . يقال : جاء يحمل وقره ، وجمعه أوقار (التاج ٣ : ٦٠٥) ، والمراد هنا بالوقر أربعة قناطير

(٢) صورة الأرض « المسالك والممالك » لابن حوقل (طبعة كرامرز فى ليدن سنة ١٩٣٨ ، القسم الأول ص ٢١٩)

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان (طبع ليبسك ١ : ٨٥٧) : « ... ويجرى فى وسطها [تفليس] نهر يقال له الكر يصب فى البحر ، وفيها عروب تطحن » وهذا تحريف ؛ صوابه عروب

(٤) ابن حوقل (ص ٢١٩)

(٥) ابن حوقل (القسم الثانى ص ٣٤٠)

(١) معجم البلدان (٣ : ٦٣٢ ، مادة مربات)

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى (طبع غوتنجن ص ٣٠٩)

(٣) كتاب الديارات لأبى الحسين على بن محمد المشهور بالشابشتى ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ . يقوم بتحقيقه ونشره : أنجى كوركيس عواد عن النسخة الفريدة المحفوظة فى خزانة برلين

(٤) الشابشتى ورقة ٢٧

(٥) الشابشتى ورقة ٧٥

(٦) الكامل لابن الأثير (طبعة تورنبرغ ٨ : ٤٦٤)

كتبه أبو إسحق الصابئ عن عز الدولة بن بُوَيه إلى المطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبي تغلب بن حمدان — فقد قال : « وكان انهزامه (أبي تغلب) بعد أن فعل الفعل التسخيف ، وكادنا التكيد الضعيف ، بأن أغرق سفن الموصل وعدتها ، وأحرق جسرها واستذم إلى أهلها[1] ... »

وأورد الخفاجي في شفاء الغليل ما ذكره ياقوت ، ومما زاد عليه قوله : « ... وأنا لا أدري هل المركب المسمى عربة[2] أخذ من هذا ، أو هو غير عربي وهو الظاهر[3] »

وجاء في حاشيته — لنصر الهوريني المتقن بطبعه — قائلاً : « من معاني العربة في اللغة : النهر الشديد الجرية ، ففي هذا الإطلاق تجوز »

وقد أشار إليها الخوارزمي في مفاتيح العلوم بقوله : « العربة طاحونة تنصب في سفينة وجمعها عرب[4] »

ومما ورد في ديوان الأدب للفارابي قوله : « لعروبة دوار ، أي ماء تدار به »

(١) صبح الأعشى للقلقشندي (٦ : ٤٨٧)

(٢) جوابا لهذا وإتماما لفائدة راجع : ١ — رحلة ابن بطوطة (طبع باريس ٢ : ٣٦١ — ٣٦٢) . ٢ — مجلة الضياء (السنة الأولى [١٨٩٨] ، ص ١٧٧) . ٣ — مجلة لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٢٨٥ — ٢٩٠ ، ٦١٣ — ٦١٩) . ٤ — مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (الجزء الثاني ص ١٢٣)

(٣) شفاء الغليل للخفاجي (المطبعة الوهبية ص ٥٦)

(٤) مفاتيح العلوم للخوارزمي (طبع ليدن ص ٧١)

الخلاصة

نخرج من هذا المقال إلى أن هذه الطواحين كانت تقوم على سفن متجاورة يتخللها مضايق ينحبس فيها ماء النهر ، وقد نصبت فيها دواليب ذات عنفات[1] ؛ تدور بتأثير الماء الشديد الجرية وتقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالضرائر أي أحجار الطواحين .

ويؤيد هذا ما ذكرته مجلة (لغة العرب) أن العربة هي الرحى التي تكون في السفينة في الماء ، ليطحن بها القمح أو يعصر بها البزر أو يستخرج بها الزيت ؛ ولها دولاب ، والدولاب عَنَفات يضربها الماء فتدير الرحى ، وهي بالإفرنجية Pressoir Hydraulique[2]

لا شك أن تلك السفن كانت كبيرة بحيث تستوعب المقادير العظيمة والحبوب ، وقد كانت الشبارات والزبازب والسميريات وغيرها من وسائل النقل النهرية وقتذاك[3] في ذهاب وإياب ، تقوم بنقل الناس مع أوقارهم إلى هذه العروب . ولا غرو إن كان دجلة والفرات عند جريهما بين يدي تلك البلدان الشهيرة بهذه العروب ؛ يزدحمان بهذه السفن ويزخران بحركتها المتواصلة .

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) العنفات هي أجنحة دواليب العربة ، مفردها العنفة

(٢) لغة العرب (٨ [١٩٣٠] ص ٢٨٧)

(٣) للتوسع في معرفة أنواع السفن والمراكب النهرية القديمة ، يراجع مقالة نفيسة نشرها الأستاذ حبيب زيات في لغة العرب (٥ [١٩٢٧] ٤٦١ — ٤٦٥) بعنوان : « السفن والمراكب في بغداد في عهد العباسيين »

١/٣ عدد الرجال لا يتمتعون ببهجة الحياة !

ويمكنك معرفة أسباب العناء مما يعانيه وعليهم من فقدان النشاط ، والمزاج العصبي وعدم الميل إلى العمل ، والفشل في الحياة الزوجية ، فقد أثبتم ضعف النفس والجسم معاً . على أن العلم الحديث يقرر بأن هذه الأعراض تنشأ في العادة بسبب لوحيد محصه ، لأن الدم فيها الهرمونات . فإذا حرم الجسم من كفاية من هذه المواد الحيوية الطبيعية ، حرم من النشاط ومن القوة المنفرة وكل ميل إلى التقدم ، ولكن بما أنه قد صار الآن في الإستطاعة تموين الجسم بهذه الهرمونات المتبرة في شكل مستحضرات طبية ، فيمكن لجميع الرجال الذين يشكون من قلة الهرمونات في أجسامهم أن يتداركوا أنفسهم وفيما يلي عناصره اكتب مستحضر « لوتوبطس » الهرموني ، شهرته في لغة الميدان عن نجاح ، ولقد أصبح نجاح « لوتوبطس » في معالجة جميع الحالات التي فشلت فيها سائر الأدوية لأجل معرفة كل ما يتعلق بالحياة الجنسية (بالقوى الجيوية) يجب أن تطالع كتاب الحياة الجديدة الذي يمكنك الحصول عليه نظير ٥ للنسخة الفرنسية أو الإنجليزية المزودة برسوم زاهية ملونة و ٣ للنسخة العربية ترسل طوابع بريدية إلى عمارة مهران رمسيس : صندوق بوستة ٢١٠٥ مصر

اقتناع .. سرعة القذف وقابلية للشفاء بواسطة نوتوبطس ٣ || مجانا اطلب نسخة من البيان المصور من عمارة مهران رمسيس ص.ب ٢١٠٥ مصر أو طلبك بطابع بريد ٥ مليمات

العلامة العالم الحديث الذي اكتشف العلاج الشهير الدكتور ماهفوز كوشلف

(سجل تجاري (٥٢٢٧)

صاحب الديوان المتمرد

لست أدرى أثورة روحه أعظم من ذكاء عقله، أم أن ذكاء عقله أرجح كفة من ثورة روحه ؟ فهو إن أردت فيه كلمة الحق ذكى ملتمع الذكاء، ثائر ملتهب الثورة ؛ وهو فتى فى ربيع الحياة لم يعد فيما أظن الثالثة والعشرين من عمره

رأيته أول ما رأيته هادئاً كالطفل الذى يحلم أحلام نفسه النقية ، ولكنى لم ألبث أن وقعت منه على ثائر تأكل ثورته أعصابه وتحرق دمه فى غير هوادة ولا إبطاء . على أننى رأيت من عذوبة روحه مع ذلك ما جعلنى أعجب كيف يجتمع مثل هذا التمرد الصاخب ومثل هذا الظرف الفكه فى نفس واحدة ! وإن أسارير وجهه لتتشكل بما يجرى فى نفسه فتكون صفحة محياه كسماء (أمشير) لا تصفو حتى تتجهم، ولا تتجهم حتى تنقشع من رقعتها الغيوم. دنوت منه ألتمس حل مسألة عنده، وما أكثر ما تدفعنى المسائل دفعاً إلى أصحاب الديوان ! وما يثقل شيء على نفسى مثل أن ألتمس معروفاً عند صاحب ديوان كبيراً كان أو صغيراً صديقاً كان أو لا يربطنى به سبب من معرفة . وأنا وإن كتبت عن أصحاب الديوان ما أكتب وأنا مطمئن فى حجرتى ولدى مكتبى ، ليركبنى الخوف ويتملكنى الحياء وتأخذنى الربكة من جميع أقطارى كلما دخلت حجرة أحدهم لأحادثه فى أمر جل أو هان؛ حتى لو كان لتحية. وسبب ذلك لا يزال مجهولاً عندى، ولن يزداد على الأيام إلا غموضاً وخفاء!

وأقبل على صاحب الديوان هاشاً مرحباً ، وترك أوراقه كلها جانباً ، وأخذ يستمع إلىّ . ولم أكد أستميد توازنى أو أسترد مواقف دفاعى كما يقول المتحدثون عن الحرب فى هذه الأيام ، حتى قطع على الكلام ومال بالحديث عن مجراه ودفعه فى شؤون كثيرة لا علاقة لها ألبتة بما جئته من أجله . وأخذ يتحدث ثم يتحدث ، وكل حديثه شكوى ، وهو لا يكاد يقع على أمر حتى يطير عنه إلى غيره — لا يعنى متى يطير ولا أين يقع — فللمحسوبية نصيب من حملاته ، ولعدم إخلاص الناس فى أعمالهم بعض سهام لومه ، وللحرب الفاتحة والمسئولين عنها جانب من غضبه ، ولفوضى الأخلاق قدر كبير من صخبه ، ولتقلب الجو قسط من تهكمه تجلت فيه براعة مقارنته بين أخلاقنا وطبيعة جونا؛ وللفن والأدب والتعليم وغيرها من الأمور مما لا يسعنى حصره ، كثير من غمزاته والتفاتات ذهنه ... كل أولئك وأنا مصغ أسلم على طول الخط بكل ما يقول ، لا أخالفه ولا أراجعه عله يفرغ فالتمس السبيل إلى موضوعى من جديد ، ولكن ثورته كانت كالسيل الجارف لا يلوى على شيء . . . وكان يدخل أثناء الحديث كثير من الخدم، فيقدمون إليه أوراقاً ، فيأخذها ويضعها على غيرها من الأضابير دون أن ينظر فيها؛ فاذا أشار أحدهم إلى أن فيها ما تستعجل الإجابة عنه صرفه بقوله: « قل له حالاً ... دقيقة واحدة » . ثم عاد إلى حديثه ، فجرى فيه على غير تحبس أو ملل

وجاء بعض زملائه يستعجلونه أوراقاً ، وكان يلتفت بعضهم إلى قائلاً : « لا مؤاخذة يا بيه » كأنما كنت أنا سبب من عطلة ؛ وهو منصرف عنهم بحديثه لا يزيد على أن يسمعهم من يستعجله منهم دقيقة ؛ ثم يستأنف حديثه وهو أنشط وأهدأ بالاً مما كان ! وانتهزت فرصة فعبرت له عن اعتذارى ، وقد غالطت نفسى ونسبت إلى أنا السبب فى ضياع هذا الوقت كله ، وفهم صاحب الديوان إشارتى، فابتسم وقال: «لا ... العفو يا أخى ، لازم كلامى لم يتشرف برضاك » ... ونفيت ذلك بكل ما أملك من معانى التأكيد ومضيت أثنى على حديثه بكل ما وسعنى من عبارات الثناء ، فاطمأن قليلاً ، وسكت هنيهة ثم قال : « انت عاوز الحق؟ الواحد أهو بيشتغل على قدر القرشين بتوعهم » ولم أستطع أن أرد على ذلك القول الذي يتضمن السكوت عليه نوعاً من الاشتراك فى الأخذ بما يدعو إليه، وما كان سكوتى إلا لأعود إلى موضوعى، وقد عقدت العزم على أن أعود إليه بأى ثمن

وبلغت ثورته أقصاها إذ تداعت إليه من هذا الكلام قصة الأقدمية ، فراح يشكو فى ألم واضطراب من أن الترقى بالأقدمية معناه أن يتساوى الجدد والمتكاسل والذكى والغبى والكفء والعاجز. فالمسألة مسألة زمن فحسب ، ومتى مرت الأيام صار الموظف بحكم الزمن وحده كفؤاً مهما كان من عجزه وتقصيره. فما معنى أن يجهد المرء نفسه إلا أن يكون « عبيطاً » وهو لا يدرى « عبطه » ؟ وضرب المثل بنفسه : فهو يحمل شهادة عالية ورئيسه من حملة الابتدائية . وضحك صاحب الديوان وقال : « يعنى أبدأ جحشاً ثم يمر الزمن فأصبح حماراً ، وعند ذلك أصير أهلاً للرقى »

وكان موعد انصراف أصحاب الديوان قد حان فنهض ومد إلىّ يده ضاحكاً وهو يعبر عن أسفه لأن الوقت لم يتسع لموضوعى ويدعونى إلى الحضور مرة أخرى .

الطيف